أهم الأحداث في عهد يزيد

أ- ثورة الإمام الحسين عليه السلام

لقد عمل الامام الحسين (ع) في فترة حكم معاوية على تحصين الأمة ضد الانهيار التام وإعطائها من المقومات القدر الكافي كي تتمكن من البقاء صامدة في مواجهة المحن التي جلبتها الجاهلية الأموية، فقد أعلن الإمام الحسين (ع) رفضهُ القاطع لبيعة يزيد بعدما قرر معاوية أن يسافر الى المدينة ويتولى بنفسه إقناع المعارضين، فقال الامام الحسين (ع) بخطبة طويلة له جاء فيها: ((وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد (ص) تريد ان توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوباً او تنعت غائباً او تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقراءه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده ناصراً)).

كان للإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاد اخيه السبط (ع) نشاطاً سياسياً واضحاً تجاه معاوية، فهو لم ينقض بنود الصلح التي أمضاها أخوه كما نقضها معاوية، ولكنه بدأ يتحرك باتجاه إعداد وتجنيد الطاقات المستعدة للمعارضة وبدأ بمواجهة معاوية بكل جرأة وصراحة، وحاول أن يجمع كلمة الأمة ويوحدها باتجاه واحد، وكان مراقباً لكل تصرفات معاوية وفاضحاً لجرائمه باستمرار، ولم يزل يستفيد من كل الفرص الممكنة للاستعداد للمرحلة المقبلة من المواجهة[1].

وبعد وفاة معاوية وتربع يزيد على العرش، أمر والي المدينة الوليد بن عتبة ان يأخذ البيعة من الحسين (ع) والمتخلفين عن بيعته، فامتنع الامام (ع) معلناً أن مثله لا يبايع يزيد، وقرر الهجرة الى مكة فدخلها في الرابع من شعبان سنة (٦٠هـ)، وقد سبق عبد الله بن الزبير اليها الذي تثاقل من وجود الامام الحسين (ع) في مكة لإقبال الناس عليه[2].

وبدأت دعوات الكوفيين تترى عليه وتطلب منه التوجه نحو العراق ليقاتلوا معه الحزب الأموي، فوجه الإمام (ع) رسوله (مسلم بن عقيل) الى الكوفة ليستخبر الوضع له، ثم أرسل الى زعماء البصرة عدة نسخ من رسالة تحمل نفس المضمون يستنهضهم لمحاربة يزيد، فأرسل الى كل من:- مالك بن مسمع البكري، الأحنف بن قيس، المنذر بن الجارود، مسعود ابن عمرو، قيس بن الهيثم، عمرو بن عبيد بن معمر و يزيد بن مسعود النهشلي، فلم يستجب له إلا يزيد بن مسعود

---

(١) الطبرسي ، اعلام الورى ، ص٣٣.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٥ ، ص١١١.

النهشلي ومن كان تحت أمره من بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلما تجهز لنصرة الامام بلغه مقتله فجزع لذلك وذابت نفسه أسىً وحسرات[١].

وتدارك يزيد وضع الكوفة الحرج بعدما وصلته كتب مؤيديه محذرة فأرسل اليها (عبيد الله بن زياد) والياً بعد تنحية الوالي السابق (النعمان بن البشير)، وبمجيء ابن زياد وتراجع الكوفيين بل تخاذلهم فشلت حركة (مسلم بن عقيل) وسُجِنَ (هاني بن عروة) و (المختار الثقفي).

تم حصار مسلم في أحد أحياء الكوفة بعدما تفرق عنه اصحابه فاستشهد هو وهاني، وأمر ابن زياد بجرهما في سكك الكوفة لإرهاب اهلها والحيلولة دون اي تحرك آخر بعدها.

وقرر يزيد ان يقتل الحسين (ع) حتى لو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فقرر الامام الحسين (ع) الخروج من مكة لئلا تُنتهك حُرمتها، فتوجه الى العراق ولم يتراجع رغم علمه باستشهاد ابن عمه مسلم وتفرُق الكثير ممن كانوا حوله طلباً للدنيا، وقرر سلام الله عليه الشهادة هو وخاصة اهل بيته واصحابه ترجيحاً للموت مع العز على الحياة مع الذُل وامتناعاً عن الاستسلام للسلطة الأموية الجاهلية[٢].

وحدثت فاجعة الطف في صبيحة يوم عاشوراء سنة (٦١هـ) حينما تقابل الجيشان على أرض كربلاء، فلم يشهد التاريخ مرحلة سجلت صفحاته بطولاتها فانحنت لها الأجيال إكباراً كتلك التي جسدتها واقعة الطف بما فيها من تضحية وإباء وصمود فكانت بركاناً زعزع عروش الطغاة.

أما الدافع الحقيقي للثورة الحسينية بهذا الشكل الذي تحقق – وإن لم يكن منها أي مكسب آني من حيث الوصول الى الحكم– إلا ان إرادة الأمة قد اصبحت ميتة بعد ان عرفت حقيقة خط أهل البيت عليهم السلام ولم يكن أي إجراء بقادر على تحريك ضميرها إلا الشهادة والتضحية التي تغرس في أعماق وجودها عظمة الدين ورُخص النفس والحياة المادية بالنسبة الى دين الله الذي جاء بكرامة الإنسان واستهدف إيصاله الى الكمال اللائق به.

أما تفاصيل هذه المعركة الفريدة فأشهر من أن تُذكر، ولقد زَخِرَتْ بها آلاف الكتب شرحاً وتفصيلاً وتحليلاً، وهي أوسع من ان تحويها محاضراتنا هذه[٣].

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٧٨.

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص١١٨.

(٣) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٠ ، ص٨٨.

نتائج الثورة الحسينية

لا يمكن لأحد ان يغفل ما تركته النهضة الحسينية من آثار على الأجيال التي تلتها رغم كل محاولات التشويه الذي مارسه البعض ليمنع من سطوع الحقيقة، وبالإمكان أن نلحظ بوضوح الآثار الكبيرة لهذه الثورة العظيمة في حياة الرسالة الإسلامية.

أما أهم تلك النتائج فهي:-

١-فضح الأمويين وتحطيم الإطار الديني المزيف:

حيث تكشف للناس حقيقة النزعة الأموية المتسلطة على الحكم ونسفت كل الأُطر الدينية المزيفة التي استطاع الأمويين من خلالها تحشيد الجيوش للقضاء على الثورة مستعينين بحالة غياب الوعي وشيوع الجهل، فكانت ثورة الإمام الحسين (ع) ورفضه البيعة وتضحياته الجليلة قد نبهت الأمة وأوضحت لها ما طمس بفعل التضليل، وكذلك الأثر البالغ الذي واصلته العقيلة زينب والإمام علي بن الحسين عليهما السلام في فضح الجرائم التي ارتكبها بنو أمية ومن توضيح رسالة الإمام الحسين (ع).

٢- إحياء الرسالة الإسلامية:

لقد استطاع السبط الشهيد (ع) ان يبين الموقف النظري والعملي الشرعي للأمة تجاه الإنحراف الذي يصيبها حينما يستبد بها الطغاة، فهل انتصر الحسين (ع) في تحقيق هذا الهدف؟ والإجابة نجدها فيما قال الإمام زين العابدين (ع) حينما سأله ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله قائلاً: من الغالب؟ فقال: ((إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقِم تعرف الغالب)).

لقد كان الحسين (ع) هو الغالب إذ تحقق أحد أهدافه السامية بعد محاولات الجاهلية الأموية لإماتته وإخراجه من معترك الحياة. (١)

٣- الشعور بالإثم وشيوع النقمة على الأمويين:

اشتعلت شرارة الشعور بالإثم في نفوس الناس وزادها توهجاً خطابات الإمام زين العابدين (ع) وعمته زينب وبقية أفراد البيت النبوي في الكوفة والشام، حتى أنَ يزيد الذي فرح فرحاً شديداً بقتل الامام الحسين (ع) وأكرم ابن زياد ما لبث أن ندِمَ ووقع الخلاف بينهما بعدما عَلِمَ بحال الناس وسخطهم عليه ولعنهم وسبهم. هذا الشعور بالإثم دفع الكثير من الجماعات الاسلامية الى العمل للتكفير عن موقفهم المتخاذل بصيغة ثورة مسلحة لمواجهة الحكم الأموي.

---

(١) ينظر : الري شهري ، موسوعة الامام الحسين (ع) ، ج٥ ، ص١٠٩-١١٠.

صحيح أنه لا يمكننا ان نعتبر موقف المسلمين هذا موقفاً عقلياً نابعاً من إدراك فساد الحكم الأموي إلا انه كان موقفاً صادقاً يصعب على الحاكمين السيطرة عليه، فكان هؤلاء الحكام الظلمة وعبر مسيرة العداء لأهل البيت يحسبون له ألف حساب.

٤- **إحياء إرادة الأمة وروح الجهاد فيها:**

كانت ثورة الامام الحسين (ع) السبب في إحياء الإرادة لدى الجماهير المسلمة وانبعاث الروح النضالية، وهزة قوية في ضمير الانسان المسلم الذي ركن للخنوع والتسليم متأثراً بما أشاعه وعّاظ السلاطين مؤطراً بغطاء ديني يسلبه إرادته وشعوره، فتعلم الانسان المسلم من الحسين (ع) أن لا يستسلم ولا يساوم وان يصرخ معبراً عن رأيه ورغبته في حياة افضل.

ونجد انطلاق العديد من الثورات ضد الحكم الأموي وإن لم يُكتب لها النجاح إلا أنها توالت حتى سقط النظام، فمن ذلك ثورة التوابين التي كانت ردة فعل مباشرة للثورة الحسينية، وثورة المدينة وثورة المختار الثقفي وثورة مطرف بن المغيرة وثورة ابن الأشعث وثورة زيد بن علي وثورة ابي السرايا في العصر العباسي[١].

دور الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام

أ-الإمام زين العابدين (ع) في سطور:-

أمه:- السيدة (شاه زنان) ابنة يزدجرد بن شهريار بن كسرى آخر ملوك الفرس، ويُذكر ان أمير المؤمنين (ع) أبدل اسم "شاه زنان" بـ "شهربانو" لئلا تُشارك السيدة الزهراء عليها السلام لقبها، لأن "شاه زنان" تعني بالعربية (سيدة النساء) وقيل اسمها مريم، وتوفيت أيام نفاسها، وولد الإمام سلام الله عليه في الخامس من شعبان سنة(٣٨هـ)[٢].

عاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضى ما يقارب سنتين في كنف جده أمير المؤمنين (ع)، ثم ترعرع في مدرسة عمه الإمام الحسن المجتبى وأبيه سيد الشهداء عليهما السلام قرابة إثنان وعشرين عاماً، تسلم المرتبة الإلهية والإمامة المطلقة بعد استشهاد ابيه عليه السلام وحتى استشهاده سنة (٩٥هـ)، بفعل السم الذي دسه له الحاكم الأموي (الوليد بن عبد الملك) فكانت إمامته وزعامته حوالي (٣٤) سنة.

ويمكننا أن نحدد ظواهر فذة في حياة الامام زين العابدين (ع) برزت وتوضحت كوضوح الشمس للأعين، وهي:-

١-ظاهرة العبادة حتى لُقِبَ بزين العابدين.

---

(١) ينظر : الريشهروي ، موسوعة الامام والحسين (ع)، ج٥ ، ص١١٠ .

(٢) أبن قتيبة ، المعارف ، ص١٠.

٢–ظاهرة الدعاء والمناجاة، والصحيفة السجادية ورسالة الحقوق خير شاهد لها.

٣–ظاهرة البُكاء حتى عُدَّ أحد البكائين الخمسة.

٤–ظاهرة الإعتاق.

بدأ الإمام زين العابدين (ع) جهاده بعد استشهاد ابيه الحسين (ع) وهو في دور الأسر متحدياً طغاة عصره محرضاً المسلمين على القتلة المجرمين وكاشفاً عن الأقنعة التي تقنعوا بها، وفاضحاً حكام بني أمية، ولم يقتصر الإمام (ع) على ذلك وإنما تمثلت نشاطاته متجهة لمعالجة أهم الأخطار التي واجهتها الامة الاسلامية والتي تمثلت بخطرين كبيرين من جراء الفتوحات الاسلامية غير الصحيحة هما:

١–خطر المسخ الثقافي.

٢–خطر الإنهيار الأخلاقي.

فقام لمعالجة هذين الخطرين من خلال التأهيل العلمي والثقافي والتربية الاخلاقية عن طريق ربط الانسان بربه في عالم المادة من خلال الدعاء والتفاني في المعبود الحق، وكان على الامام (ع) ان يوجه انحراف الحكام بنحو لا تتضرر بذلك الدولة الاسلامية ككيان سياسي اسلامي، ولا يستغل الحكام ذلك لتثبيت حكمهم المنحرف[1].

ب- ثورة المدينة المنورة او (واقعة الحرة)

لم تكن الأوضاع في المدينة هادئة، فقد استُبدِلَ ثلاثة ولاة خلال عامين، فاستبدل يزيد والي المدينة (الوليد بن عتبة) بـ (عثمان بن محمد بن ابي سفيان)، فأراد عثمان ان يكسب رضا اهل المدينة فأرسل وفداً من اهلها من أبناء المهاجرين والأنصار الى دمشق ليشاهدوا الخليفة الشاب وينالوا نصيبهم من هداياه إلا ان الوفد رأى في سلوك يزيد ما يشين، وعند رجوعهم اظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا: (قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتُعزف عنده القيان و يلعب بالكلاب ويسمر عنده الحراب – وهم اللصوص – وإنا نُشهدكم إنا قد خلعناه)، وقال عبد الله بن حنظلة الغسيل: (لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم، وقد اعطاني واكرمني وما قبلتُ عطاءه ألا لا تقوى به)، فخلعه الناس وبايعوا عبد الله وولوه عليهم فقام اهل المدينة بإخراج عامل يزيد عليها وحاصروا بني أمية واتباعهم حتى احتمى مروان بن الحكم عند الامام زين العابدين (ع) فاستجاب له الإمام تكرُماً، ولما وصلت الأخبار ليزيد أمر (مسلم بن عقبة) على جيش جرار ليقضي على ثورة المدينة وزوده بتعلماته قائلاً: (ادعُ القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلا فقاتلهم فإذا ظهرت عليهم فأبحها – اي المدينة– ثلاثاً، فما فيها من مالٍ او دابة او سلاح او طعام

(١) سامي مكي البدري، الثورة الحسينية ، ص٢١٠.

فهو للجند)، وأمره أن يُجهز على جريحهم ويقتل مدبرهم، وبعد قتال عنيف استشهد أغلب المدافعين ومنهم ابن حنظلة الغسيل وجملة من اصحاب رسول الله (ص) ونفذ قائد الجيش الأموي أوامر يزيد وزاد عليها واستباح المدينة ثلاثة أيام[1].

يقول المؤرخ ابن كثير: (أباح مسلم بن عُقبة – الذي يقول فيه السلف– "مُسرف بن عُقبة" قبحه الله من شيخ سوءٍ ما أجهله، المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد – لا جزاه الله خيراً– وقتل خلقاً من أشرافها وقُرائها ونهب أموالاً كثيرة منها .....).

ثم نُصب لمسلم بن عقبة كرسي وجيء بالأسرى من المدينة فكان يطلب من كل واحد منهم ان يبايع: (على انه مملوك ليزيد يتحكم فيَّ وفي دمي وفي مالي وفي اهلي ما يشاء)، ومن امتنع كان مصيره القتل.

ورغم جبروته وظلمه لم يجسر مسلم بن عقبة على قتل الامام زين العابدين (ع) او إلحاق الأذى له رغم تنكره له، وأوصى ببره وتمييزه عن غيره، ويذكر ان الامام (ع) كفل في واقعة الحرة أربعمئة إمرأة من عبد مناف وظل ينفق عليهن حتى خروج جيش مسلم من المدينة.

ومن العجيب ان مسلم بن عقبة قال بعد الواقعة الدامية: (اللهم اني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله أحب الي من قتل اهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة)، رغم انه قد تجاوز التسعين من عمره أي انه كان قريباً من حتفه، وقد هلَكَ بُعيد واقعة الحرة وقبل ان يصل الى مكة لمحاربة عبد الله بن الزبير الذي تحصن بها وأعلن ثورته على الحكم الأموي[2].

ج- حصار مكة وضرب الكعبة

واصل الجيش الأموي مسيره نحو مكة ليكمل الجريمة الثانية النكراء، فقد تسلم الحُصين بن نُمير قيادة الجيش بعد وفاة مسلم بن عقبة بناءً على أوامر يزيد، وعندما وصل أطرافها فرض حصاراً عليها وبعد رفض خروج ابن الزبير منها ضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرقها، ولم يستمر الهجوم والقصف طويلاً حتى وردت انباء بوفاة يزيد بن معاوية، فعَقَدَ الحُصين بن نُمير مع ابن الزبير مفاوضات أعرب له فيها عن استعداده لقبول بيعته شريطة ان يرافقه الى الشام إلا ان عبد الله بن الزبير رفض الشرط فعاد الحُصين وجيشه الى الشام.

---

(١) ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٩٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص٦ ، ص٩٨-٩٩.

فهو للجند)، وأمره أن يُجهز على جريحهم ويقتل مدبرهم، وبعد قتال عنيف استشهد أغلب المدافعين ومنهم ابن حنظلة الغسيل وجملة من اصحاب رسول الله (ص) ونفذ قائد الجيش الأموي أوامر يزيد وزاد عليها واستباح المدينة ثلاثة أيام[1].

يقول المؤرخ ابن كثير: (أباح مسلم بن عُقبة – الذي يقول فيه السلف– "مُسرف بن عُقبة" قبيحه الله من شيخ سوءٍ ما أجهله، المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد – لا جزاه الله خيراً– وقتل خلقاً من أشرافها وقُرائها ونهب أموالاً كثيرة منها .....).

ثم نُصب لمسلم بن عقبة كرسي وجيء بالأسرى من المدينة فكان يطلب من كل واحد منهم ان يبايع: (على انه مملوك ليزيد يتحكم فيَّ وفي دمي وفي مالي وفي اهلي ما يشاء)، ومن امتنع كان مصيره القتل.

ورغم جبروته وظلمه لم يجسر مسلم بن عقبة على قتل الامام زين العابدين (ع) او إلحاق الأذى له رغم تنكره له، وأوصى ببره وتمييزه عن غيره، ويذكر ان الامام (ع) كفل في واقعة الحرة أربعمئة إمرأة من عبد مناف وظل ينفق عليهن حتى خروج جيش مسلم من المدينة.

ومن العجيب ان مسلم بن عقبة قال بعد الواقعة الدامية: (اللهم اني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله أحب الي من قتل اهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة)، رغم انه قد تجاوز التسعين من عمره أي انه كان قريباً من حتفه، وقد هلَكَ بُعيد واقعة الحرة وقبل ان يصل الى مكة لمحاربة عبد الله بن الزبير الذي تحصن بها وأعلن ثورته على الحكم الأموي[2].

ج- حصار مكة وضرب الكعبة

واصل الجيش الأموي مسيره نحو مكة ليكمل الجريمة الثانية النكراء، فقد تسلم الحُصين بن نُمير قيادة الجيش بعد وفاة مسلم بن عقبة بناءً على أوامر يزيد، وعندما وصل أطرافها فرض حصاراً عليها وبعد رفض خروج ابن الزبير منها ضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرقها، ولم يستمر الهجوم والقصف طويلاً حتى وردت انباء بوفاة يزيد بن معاوية، فعَقَدَ الحُصين بن نُمير مَع ابن الزبير مفاوضات أعرب له فيها عن استعداده لقبول بيعته شريطة ان يرافقه الى الشام إلا ان عبد الله بن الزبير رفض الشرط فعاد الحُصين وجيشه الى الشام.

---

(١) ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٩٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص٦ ، ص٩٨-٩٩.